الشكل والمضمون في قصائد "الشمس والحصار"

بقلم: عادل الاسطه

قصائد الشمس والحصار في مجموعة حليل نوما - نغمة فوق سن نحه هي تموذج فني ناضج لشعرنا المحلي، انها انعكاس للواقع واستشراف له في نفس الوقت. لمست هذه القصائد ضمامة كما نرى في الكثير من شعرنا المحلي، او هي من حيث مضمونها وثيقة ادانة مصاغة باسلوب فني، انها مجموعة مواقف درامية يغلب عليها العنف الدرامي ولكن شاعرها متفائل. هكذا نلحظ في هذه القصائد خصائص المدرسة الواقعية الاشتراكية.

وقبل ان نقرأ القصائد علينا ان نشير الى دور الاديب في الحياة، لا يقف الاديب موقف المتفرج من الحياة فقط دون ان يشارك فيها او لعل اهمية هذه القصائد انها تعكس معاناة صاحبها انها خارجة من داخل السجن ولعل هذا ما يضفي عليها قيمة خاصة، ولعلنا نلمح المعاناة في معظم ان لم يكن كل هذه القصائد، الصور الشعرية المأخوذة من الواقع، المفردات اللغوية المقاتلة والعنف الثوري هي ما تتميز به هذه القصائد بالاضافة الى مضمونها الوطني، ولعلنا نلاحظ ايضا تركيز الشاعر في هذه المجموعة او على الاصح في قصائد الشمس والحصار على القضية الوطنية، وتراجع الحس الطبقي بشكل ملموس وليس بشكل منقطع او مختف نهائيا.

ان التجسيد الحي الواعي لمأساتنا يبرز في قصيدة (اصوات في المدينة) حيث تتخذ القصيدة ابعادا تاريخية، والصراع نلمحه واضحا في هذه القصيدة، الصراع بين المغني والشيخ والطفل الصغير من جهة وبين موسى والخفير من جهة اخرى لكل منهما دلالة معينة يقصدها الشاعر، ان الصراع بين من سلبنا كرومنا وبين الشيخ يتخذ طابع العنف ويصبح القصيدة بهذه الصيغة، ان تساؤلات الطفل وتوالجد (خيمة اخر العمر) لابد ان يتبعها تغيير وهكذا يعشق جدنا وطفلنا يعشق كل منهما تغيير الفصول هذا التغيير يتخذ في القصيدة، الواقع ايضا الطابع التالي:

يخرج القوم وفي ارجلهم
عضب يسحق موسى والخفير
وسفيح يتطاير
وخيام تتناثر
فحاة ينفجر الليل بطلقة

هذا الموقف الدرامي وهذا التجسيد للواقع في القصيدة، نلمح جانبا منها في قصيدة (عوليس في الرحلة الاخيرة) فالغربة غربة عوليس وانتظار جزيرته له هي غربة الانسان الفلسطيني، او ما حل بالجزيرة هو نفسه الذي حل بفلسطين حيث تغرب ابنها او لنقل ابناؤها عنها، وحنين عوليس ليس ناجما عن هدف شخصي انه لا يحق الى زوجته بل يحنّ الى الجزيرة، هنا تبرز قدرة الشاعر وابتعاده عن الهموم الذاتية ويصبح الهم الاوحد هو العودة الى الجزيرة، واذا كان الرمز من مميزات الادب البرجوازي فان استخدام خليل له هنا هو استخدام شفاف. وفي هذه القصيدة انعكاس لحالات الناس النفسية وانتظار الخلاص، مجموعة من التصورات تتراوح بين التمني والعجز، غير ان التصور الاخير - النشيد الاخير - هو التصور الصادق الذي يريده الشاعر ونريده معه لاجتياز الواقع، وان كان تصورا يكلف الكثير ويحتاج الى الزمن حتى يعود عوليس المشرد ومع هذا تبرز الروح التفاؤلية التي يتحلى بها عوليس الفلسطيني حيث انه ياتي الينا في ربيع قادم:

من دموع الاهل من غربتهم
من نشيد يصعد الان على كل فم
من دماء الوطن المذبوح
من عرق الكادح ينمو املي

هذا الالم ينتهي ولكنه لا ينتهي الا بالعطاء والعطاء ايضا لا بد ان يتخذ العنف والقوة اذ:

لا تاتي سيدتي في عرس الدم
حين تزغرد في الغابات نوورس الحطابين

يسيطر الوطن على ذهن الشاعر، ويتخذ الشاعر من الخاص للتعبير عن العام، هكذا يمتزج الخاص بالعام، فبيت لحم، المدينة صورة للوطن الكبير، ويصبح محور حديثه، وفي الليل لا يتذكر الا صورة المدينة - الوطن، وبهم بتقبيله شبرا شبرا ولكنه يفاجا بالفعل، وتسلبه الذكريات النوم وتطغي على احاسيسه صورة الاخوان الذين تشتتوا في كل ناحية ، يتذكر محبوبته ولقاءه معها، لكن حتى هذا الموقف الخاص لا يخلو من الغربة، القرية داخل الوطن حيث المراقبة، وحتى حبيبته تدرك ذلك تخاف عليه من الذئاب ، هؤلاء الذئاب اصبحوا جزءا من واقع الجميع، ويبرز الشعور الدرامي الذي يثار عندنا ايضا

وضمتها والشمس دارت حمرة
في خدها خلف الحجاب
اليوم تصهل في شوارعنا
جنازير الذئاب.

بعد التذكر والعشق يصور لنا الشاعر علاقته بالوطن، ليست علاقة سطحية، انها علاقة حلو هذه هي علاقة الشاعر الفلسطيني بارضه ليست علاقة من جهة واحد، ليست علاقة دخول وا تداخل وحلول محمود درويش ي العلاقة بين المسمار والخش وهكذا شاعرنا:

لما افترقنا ذات يوم صرت زو ثانية
وحللت في بدني فصرنا توامين
ولذا نعود معا ،يكتمل النهار.

في هذه القصائد، كما سبق وقلت حقق خليل توما جدلية الشكل والمضمون، ولعلنا نلاحظ الصيغ الدرامية تغلب على القصائد، كما ان الحركة واستخدام طابع السرد حيث الدفق الشعري من سمات هذه القصائد، ومن حيث الشكل الواحد ايضا تلاعب الشاعر بالالفاظ يعطي القارئ جوا موسيقيا تطرب له الاذن (لو تسمع يا عزمي لو تسمع او قوله (ضلت، ما ضلت ما خرجت يوما عن صف مانطت السور) غير اننا نلاحظ بعض مقاطع تغلب عليها النثرية التي تخلو طبعا تاما من الروح الشعرية - وهي قليلة مثل قوله

لكن الذئب حين عوى خلف الباب ونادى فريسته الحزينة ذات الكلمات الحارة
لم يكن لدى القطيع سكين ولا هراوة فاقيم العرس الدموي بلا شجار
ثمة درب اخر
فحين نريد ان نلبس ثياب الاسود علينا ان نكيف انفسنا.

مرارة الانتظار

جبرا حنونه

تعالي نطير معا عبر هذا الفضاء
نيام على غيمة ... تحلق فوق النجوم
ونسبح في عتمة الضوء... في هدأة الرعد... في لمعة البرق
تقصر كل المسافات ما بيننا
تعالي نروح ... نشرق... نرحل... نمضي الى الجزر المخملية
عبر السواحل
نطوي القرون... ونطوي الفيافي
نضيء دروب اليتامى حنانا.. ونفرشها بالسنابل
تعالي لنجمع كل البنادق ... نصنع منها مناجل
تعالي نلملم كل الصغار
ونمسح عن حدقات العيون الطفولية الحقد
نسحق رعب المرارة
تعالي نبشر هذي الجموع التي من سنين طويلة
تحترف الانتظار
نهدهد كل الجراحات.. نزرع كل البساتين لوزا ينور طول السنين
تعالي نرش البنفسج عبر الدروب
ونغسل حقد القلوب
تطير الفراشات من حولنا زاهيات ترفرف فوق الورود..
نأخذها ونطير معاً عبر قوس قزح
نلونها ثم نرجع.. نسبح في النهر... نسمع صوت البلابل
نصغي لهمسة الماء فوق الحصى
نطير مع الريح فوق السنابل... نمرح بين الحقول
ونسبح في صافيات الجداول

ليل الحراثين

شعر: محمد كمال جبر

يا حراث .. عوافي
يسعد هالصباح.. تسعد هالايادي
تشق الارض بمحراث
تزرعها قمح وامل
يا حراث.. عوافي
عينيك عينين نسر خطافه
رزنود ك مثل الخشب للزتون
الف تحية.. لامك
انجبت في ليل الحزان.... اسد
وعفار..
واعفر يا فلاح
اعفر بذارك.. لا بد المطر نازل
يا حسرة
يا حسرة ع المتردد
رايح يضيع في ظلام ليله
وتكبر جروحه.. ويزداد ويله
يا حسرة
يا حسرة
على اللي زقزقت الطلقة جنب شمة ذانه
وقطعها
يا حسرة
لما يصير ليل الحراث
سجن اوهامه.....

نيرودا

* فليستيقظ الحطاب :

في تشيلي ، في مدينة « لوتا »
في بيوت عمال المناجم البسيطة الرطبة
يصل امر الجلاد دليلا
ويستيقظ الاطفال باكين
الاف منهم سجناء يفكرون
وفي « باراغواي »
تندوي طلقة ناريه
في وهج الصيف .
وظلال الغابة الكثيفة
تحتضن عظام الوطني المغتال
هناك ،
ماتت الحقيقة .

* غناء لامهات الشهداء :

ايتها الامهات المطعونات بالاسى والموت
انظرن الى قلب اليوم الذي يولد
واعلمن ان امواتكن يبتسمون من الارض
رافعين قبضاتهم فوق سنابل القمح

الثقافة.. والمجتمع

بقلم: محمد شحادة

الثقافة هي مجموع القيم المادية والروحية التي صدمتها وما تزال تصدمها الانسانية في مجرى التجربة التاريخية والاجتماعية، وهي تميز درجة معينة من تطور المجتمع، كما ان الثقافة ظاهرة تاريخية تنمو بارتباط وثيق مع تبدل الاطوار الاقتصادية والاجتماعية.

وعندما نتحدث عن الحركة الثقافية في الاراضي المحتلة فاننا نقصد ان حياة المواطنين، دخلت بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧، طوراً جديدا من اطوار تطورها ما زال تعيشه حتى الان، وكان لا بد ان تبدو اثار هذه المرحلة منعكسة على النواحي الثقافية.

لقد شهلت الارض المحتلة ظهور ادباء ملتزمين، عبروا بعمق عن ارتباط الانسان بالارض، وصوروا الصراع الدائر في مجتمع الارض المحتلة، وفي مقدمة اولئك الكاتب التقدمي محمود شقير في مجموعته القصصية "حبل الاخرين و "الولد الفلسطيني" الصادرتين بعد عام ١٩٧٤.

ودعوني استدرك، فاقول ان الحركة الثقافية تشمل المسرح والشعر، القصة، الموسيقى، الرسم، الفنون التشكيلية وغيرها. والحركة الثقافية في الارض المحتلة اكثر ما يطغى عليها القصة والشعر، رغم انه قامت عدة معارض للفنانين الفلسطينيين (في الرسم) وعرضت عدة مسرحيات قدمت عروضها فرق فلسطينية غير ثابتة البقاء لامور متعددة يجب التغلب عليها. ان هذه المعارض الفنية والمسرحيات كانت تعالج كما هي الحال في دواوين الشعر الجديدة التي ظهرت او المجموعات القصصية، كانت تعالج بتفاوت (بالطبع) قضايا ملحه في حياة الشعب في الارض المحتلة، ولا بد من الاشارة هنا الى دار صلاح الدين للنشر في القدس، التي [illegible]

من الكتب الوطنية والتقدمية والمحلية منها بشكل خاص.

بشكل عام نستطيع ان نؤكد ان الكتب الكثيرة في الشعر والقصة، لم تصل في معظمها الى المستوى الادبي المطلوب في الاوضاع الراهنة، اذا استثنينا خليل توما في مجال الشعر وجمال بنورة في القصة القصيرة. ولا اتجنى على اي من كتابنا وشعرائنا حين اقول ذلك، فنحن في الارض المحتلة بحاجة الى الكاتب والشاعر الطليعي الذي يتحدث ابداً (وخاصة الان) من واقعنا وقضايانا الرئيسية. من هنا فان ادباءنا مدعوون للغوص في اعماق هذه القضية، سيما وان الحركة الثقافية التي تعيش في مثل ظروفنا، يمكن ان تكون مفعمة بالروح الشعبية.

اما نلحظ ونحس هنا وهناك الرواص والنفرات فيما نقرأه من قصيدة وفيما نراه من مسرحية او حوار، وحتى تدعم الحركة الثقافية في الارض

جماهير هذه الارض، نرى من الضرورة العمل على ما يلي:

ايجاد حركة نقدية واعية، تقيم وتنتقد بشكل بناء كافة الاعمال.

التغلب على قضية صعوبات النشر والتي يعاني منها معظم الادباء ... هناك من يكتب منذ ١٥ عاما دون ان ينشر!!

ايجاد مركز خاص بالابحاث النقدية والادبية مع ان هذا المطلب يبدو صعب التحقيق.

الاستفادة من الدارسين العائدين في مجال الترجمات الادبية المختلفة. فهناك اعمال ادبية كثيرة عالمية لم تصلنا ترجمات لها.

الاتصال المستمر مع الاعمال الثقافية العربية والعالمية من طريق نشرها بصورة كبيرة.

ايجاد تجمع للادباء والكتاب والعمل بروح المسؤولية لتخطي كل الصعوبات ولدفع الحركة الثقافية التي